

توسعات المخزن المغربي في الإقليم الغربي للجزائر 05 جويلية 1830

د. بن جبور محمد*

الملخص:

يتناول موضوع هذا المقال التوسعات المغربية في الأراضي الجزائرية بعد الفراغ السياسي الرهيب الذي تركه انسحاب القوات الفرنسية من الإقليم الغربي للجزائر، وكيف بدأ السلطان عبد الرحمان بالإستعداد لحشد قوات مخزنية والدخول بها لإخضاع القبائل في هذا الإقليم، وذلك عن طريق المولى إسماعيل الذي بدأ يحث سكان تلمسان على تقديم الطاعة والولاء للسلطان عبد الرحمن وإقناع القبائل الجزائرية المجاورة بذلك، كما يتناول المقال أهم الأحداث التاريخية التي صاحبت تواجد القوات المغربية في مدينة تلمسان، والتصادم الذي وقع بينهما وبين سكان المدينة والذي أفضى في الأخير إلى انسحاب هذه القوات لأسباب عسكرية بحثة وأخرى خاصة بالأوضاع الداخلية في الإقليم الغربي، غير أن هذه القوات سرعان ما عادت بعد فشل القوات الفرنسية في إخضاع المدينة في 29 جويلية 1831 وهذا ما حفز القوام المغربية لبعث عمالها في المدن الجزائرية كمدينة مستغانم لتقديم البيعة للسلطان عبد الرحمان وتوحيد الصف من أجل الوقوف في وجه القوات الفرنسية دفاعا عن الإسلام والمسلمين وتحرير مدينة وهران. ولقد امتد نفوذ العمال المغاربة حتى التيطري.

كلمات مفتاحية: مخزن المغرب؛ القوات الفرنسية؛ السلطان عبد الرحمن؛ القبائل الغرب الجزائري؛ مستغانم؛ وهران؛ التطري.

* أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس فرقة بحث في مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر.

Abstract :

The present article sheds light upon the Moroccan expansions in the Algerian territories after the huge political vacuum left after the French forces' withdrawal from western regions of Algeria, in addition to the way in which Sultan Abdul Rahman began gathering forces to subdue the Algerian tribes under the leadership of EL Mawla Ismail who in his turn urged the people of Tlemcen to pay obeisance to Sultan Abdul Rahman and to persuade the neighboring tribes to do so, Besides, the article reflects the most significant historical events that accompanied the Moroccan presence in Tlemcen and the conflicts that took place among them and that resulted in the withdrawal of the Moroccan forces for some military reasons and other internal circumstances in the western region , However, these forces soon returned after the failure of the French forces to subdue the city on July 29th (1893) which established the ground for Moroccan forces to send their employees to Mostaganem to show obeisance to Sultan Abdul Rahman , to unify against the French colonizer forces' in defense of Islam and Muslims and to free the city of Oran ,they lasted until AL "TITARI".

Key words : Moroccan forces; the French forces; to Sultan Abdul Rahman; the Algerian tribes; Oran; Mostaganem.

مقدمة:

بعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830، سعت السلطة المغربية للحصول على البيعة العامة من سكان بايلك الغرب من أرض الجزائر، وذلك من خلال مجموعة رسائل، التي كان يبعث بها بعض المغاربة وفي مقدمتهم السلطان عبد الرحمن للقبائل الجزائرية المجاورة للحدود الشرقية المغربية، وكان مضمون هذه الرسائل يتناول محاولة السلطة المغربية الحصول على بيعة هذه القبائل وعدم الخضوع للقوات الفرنسية، التي كانت تعتبر نفسها هي الوريث الشرعي والوحيد للدولة العثمانية ونتيجة لإصرار السلطة المغربية على التوسع في الأراضي الجزائرية. فقد توترت العلاقات بينها وبين فرنسا بدليل قيام هذه الأخيرة ببعث سفنها الحربية إلى سواحل مدينة تيطوان لإجبار المغاربة على التراجع عن فكرة التوسع بالأراضي الجزائرية ورغم ذلك فلقد استطاعت السلطة المغربية بسط نفوذها على بايلك التيطري.

تبين أن عدة قبائل من إقليم وهران قدمت بيعتها وخضوعها للسلطان المغربي باستثناء قبائل تلمسان ومعسكر، وبالفعل فإن قبائل الدواير، وزمالة والبرجية والغرابية وسكان مستغانم، رفضوا الخضوع للسلطة المغربية، رغم جهود ممثلي المولى عبدالرحمن لإقناع هذه القبائل بتقديم ولائها، بيد أن تواجد القوات الفرنسية في وهران حال دون اتصال الممثلين المغاربة بأعيان هذه القبائل، وبالتالي فقد اكتفى السلطان بالقبائل الموالية، والتي قدمت بيعتها له وحرص على تمسكها ببيعتها وعدم نقضها، وقد أمر خليفته بتلمسان بتذكيرهم بواجباتهم، فقال: "إنكم رغبتكم في بيعتكم فلان أي السلطان، وطلبتم نصرته وإعانتته، وأنتم أمم موافرة وجنود متكاثرة، فإن كنتم تحافظون على شروط البيعة وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، وتقاتلون على دين النبي . صلى الله عليه وسلم . الذي هو دينكم وتدافعون عن أحبائكم وأولادكم، وبلاذكم، لتدركوا عز الدنيا وشرف الآخرة، فنحن من جملتكم نقاتل في سبيل الله، فإنما أتينا ردء لكم وإعانة وإن كنتم لا تقاتلون على دينكم وأولادكم وبلاكم، وترضون بالدخول تحت كنف الكفار وإعطاء الرتبة لهم فمالنا ومالككم"¹، وقد بين السلطان في رسالته كذلك أن فرنسا قد فشلت في كل مناوراتها العسكرية لزعزعة الاستقرار بالمغرب².

ولقد دلت المصادر بأن المغاربة قد وجهوا عدة حملات عسكرية في محاولة إخضاع القبائل الراضية لتقديم البيعة للسلطان ومن بين هذه الحملات الحملة التي وجهها قائد قبيلة كروان المغربية أو ميمون³، وحملة إدريس الجراري التي استهدفت إخضاع قبيلتي الدواير والزمالة، وقد تمكن من أسر شيوخها⁴، ومضاعفة للإحتياجات قام السلطان بإرسال ابن عمه المولى عبد المالك إلى تلمسان، لتقديم المساعدة اللازمة وحثه على العمل الجماعي⁵، فقال: "وجعلنا أمركم شوري بينكم، فلا تقطعوا أمرا دونه ولا تفعلوا رأيا حتى يتفق رأيكم ورأيه عليه"⁶.

ولقد أشار الناصري عند الكتابة عن فترة وجود المولى علي بتلمسان أنه قد "افتترقت كلمة العرب لضعف إيمانهم، وقلة همتهم، فجلبهم مال إلى الدخول في حزب النصارى، عندما استولوا على مدينة وهران في هذه الأيام"⁷.

وما يؤكد بأن وجود القوات المغربية بتلمسان كانت له نتائج سلبية، أن المولى عبد الرحمن قد أمروقاته بالانسحاب من كامل إقليم وهران، ونظرا لتقلص عدد الجند الفرنسيين الذين عاد أغلبهم إلى فرنسا، اضطر الجنرال كلوزيل إلى الاعتماد على باشاوات مسلمين، كانوا قد اعترفوا بالسيادة الفرنسية على الأقاليم الثلاث الجزائرية، قسنطينة التيطري ووهرا⁷، وعليه فقد تولى ابن أخ باي تونس أحمد بن مصطفى خير الدين آغا* إدارة إقليم وهران⁸، وبموجب الاتفاق الذي انعقد بين كلوزيل وباي تونس، فإن المرسى الكبير تبقى تحت سيطرة القوات الفرنسية، كما يبقى الباى الجديد خاضعا لفرنسا، ويتعهد بتقديم إتاوات سنوية قدرت بـ مليون فرنك فرنسي، كما تضمن الاتفاق شروط أخرى خاصة بالتجارة، ونشاط الأوروبيين في الجزائر، إضافة إلى مسؤولية تغيير البايات التي أصبحت من صلاحيات الإدارة الفرنسية⁹.

وقد وصل خير الدين آغا نائب الباى أحمد بن مصطفى ومعه 200 فارس بدون خيول يوم 11 فبراير عام 1831¹⁰، وكان ينتظر التحاق قوات إضافية من تونس لتعزيز القوات العسكرية بوهران¹¹، ولكن بعد سبعة أيام أصدر وزير الخارجية الفرنسي قرارا اعتبر فيه الاتفاق الذي تم مع باي تونس لاغيا، بحجة أن الاتفاق ليس من صلاحيات واختصاصات الجنرال كلوزيل¹²، وبعد سماع التونسيين بالخبر أصيبوا بخيبة أمل كبرى نتيجة رفض الحكومة الفرنسية لتواجدهم بوهران¹³، كذلك لكونهم لم يجدوا الأموال، ولا المؤن، بل وجدوا سكانها رافضين تماما تواجد قوات أجنبية على أرضهم¹⁴، وهذا ما اضطر خير الدين إلى طلب إلغاء الاتفاق والرحيل من وهران في 16 فبراير 1831¹⁵.

وفي أواخر شهر فبراير 1831 وصل خبر الاتفاق، الذي تم بين باي تونس والجنرال كلوزيل إلى المولى عبد الرحمان، فراسل خليفته بتلمسان يطلب منه تزويده بالمعلومات الخاصة بالاتفاق، والقبائل التي أيدت هذه السلطة الجديدة بإقليم وهران¹⁶.

بيد أنه وبالرغم من عدم مساعدة الظروف على بقاء التونسيين بوهران، ورغبة الباى الجديد في الرحيل عنها، فإن ظروف أخرى ساعدت على استقرارهم

بضعة أشهر، مثل وصول شحن من المواد الغذائية، ومبايعة الدواير والزمالة للباي الجديد، وعدم اكتراثهم بالحصار الذي ضربه المغرب عليهم، وكل هذه العوامل سمحت ببقاء التونسيين بوهران، وعدم إلغائهم للإتفاق مع كلوزيل¹⁷، الذي كتب إليه الجنرال بيرتزين يحثه على ضرورة تكريس الاتفاق، حيث قال: "... وإلا رأينا هذه المدينة تسقط بأيدي المغاربة وبالتبعية يسقط كل الإقليم، مما سيجعل وضعنا في الجزائر صعبا لأن مجاورة مولاي علي ستؤدي لا محالة إلى انتفاضة القبائل في الجبال، وستعطي حيوية أكبر للمتآمرين في مدينة الجزائر¹⁸.

ولقد كان انسحاب القوات المغربية من تلمسان من جملة العوامل التي ساعدت على استقرار الحكم التونسي بوهران، ورغم ذلك فبمرور الوقت بدأت الأوضاع بوهران تتدهور، خاصة بعد رفض الدواير والزمالة مساندتهم للسلطة التونسية، وظهور خلافات بينهما وبين الفرنسيين، وعليه فقد بات انسحاب التونسيين من وهران أمرا حتميا¹⁹.

ولقد ذكرت المصادر بأن التونسيين غادروا وهران في يوم 22 أوت 1831²⁰، بيد أن ابن أبي الضياف ذكر بأن رجوعهم كان في شهر سبتمبر²¹، ويمكن أن يكون هذا التاريخ هو المصادف لوصولهم إلى تونس، كما ذكر الجنرال بواي BOYER بأن التونسيين عندما رحلوا من وهران قد نهبوا كل شيء ومنحوا التجار اليهود والحضر رخصا للإستيراد، ويمكن أن يكونوا قد باعوها لهم بأثمان باهظة²²، بيد أن ابن أبي الضياف ذكر بأن خير الدين آغا رجع إلى تونس ولم يأخذ معه شيئا²³.

وهكذا ساهم الوجود التونسي بوهران في إضعاف التواجد المغربي بإقليم وهران وكان السبب الرئيس في انسحاب المغاربة من الإقليم الضعيف الكبير الذي داهم الجند المغاربة، وبالفعل في يوم 8 مارس 1831 أمر المولى عبدالرحمن خليفته مولاي علي بتجميع قواته والانسحاب من تلمسان، للرجوع إلى مدينة فاس²⁴، ولقد أشار وزير الخارجية الفرنسي دي لا بورط في 3 أفريل بأن انسحاب المغاربة من تلمسان كان بسبب تلك المذكرة التي أرسلها إلى سلطان المغرب²⁵، وقد أكد هـ شورشل أن السلطان تخوف بعد وصول الإنذار الفرنسي، فاضطر إلى إصدار قرار بالانسحاب من تلمسان²⁶، بعدما دام التواجد المغربي بها قرابة الستة أشهر²⁷.

غير أن موقف السلطان من البعثة التي أرسلها الكولونيل أوفري، والرد الواضح الذي رد به على التهديدات الفرنسية بتاريخ 21 فبراير 1831، يؤكد بأن الضغوط الفرنسية لم تكن سببا في انسحاب المغاربة من تلمسان، وقد ذكر دي كوسي بريسك في تعليقه عن أسباب انسحاب السلطة المغربية، حيث قال: "يجب أن يكون المرء قليل الاطلاع على الشؤون الخارجية حتى يصدق بأن الانسحاب كان خضوعا للضغوط الفرنسية"، ثم أضاف "كانت أسباب سحب الخليفة نوعا آخر تماما، فقد كان سلوكه غير المستقيم، وغير المتبصر، وتجاوزات قواته ومعارضة العناصر التركية بإقليم وهران هي التي أدت إلى انسحابه"²⁸، أما المشرفي في الحلل الهية، فقد ذكر بأن انسحاب القوات المغربية من تلمسان كان بقرار من خليفة السلطان، وبدون علم هذا الأخير بذلك²⁹، ولقد أشار شارل أندري جوليان CH. A. Julien بأن السلطان استدعى خليفته في 8 مارس 1831، ليضع حدا لتجاوزات ممثليه ضد القبائل والأتراك خاصة³⁰.

وفي الابتسام يصور صاحبه انسحاب القوات المغربية من تلمسان حيث قال: "خرجوا هاربين لا يلوي أحدهم على أحد من شدة ما أصابهم من الخوف والجزع، وما كانوا عليه من الانحلال والإعياء في خيلهم وسلاحهم واختلاف كلمتهم" واعتبر السبب في ذلك هو الجشع والطمع³¹.

وفي الرسالة يشير السلطان إلى عدم التخلي النهائي عن إقليم وهران، رغم أنه أمر جنده بالانسحاب، حيث أمر خليفته بتحويل كلمة الأشياخ وسياساتهم مع عامل وجدة، عندما قال: "فمن عاهد الله عليه فعاملنا بوجدة يتصرف معه على وجه الطاعة والصلح"³².

لقد دلت المصادر أن انسحاب السلطة المغربية من تلمسان، لم يسمح لفرنسا بالسيطرة على إقليم وهران كانت الذي كانت ظروفه تتعقد، ذلك أن سكان المغرب الأوسط لم يتحالفوا معها، وهذا ما أكدته هنري تيراس H. Terasse³³، ولكسب الفرنسيين تأييد القبائل لسلطتهم قام الجنرال بواي ببعث رسالة إلى وزيره المختار الجامعي، طالب فيها السلطان بالإفراج عن زعيمي قبيلتي الدواير والزماله، مصطفى بن إسماعيل ومورسلي، اللذان كانا بمدينة فاس³⁴، بيد أن الوزير رد على الرسالة

بأنه يفرض إبطال هذا الطلب إلى السلطان، وذكر بأنه ليس من حق المسيحيين التدخل في شأن الرعايا المسلمين، وأكد الجامعي بأن الزعيمين لم ينقضا بيعتهما التي أعطياها للسلطان³⁵، وقد كان يأمل الجنرال بواي في عودتهما إلى وهران لما لهذه العودة من تأثير على موقف القبائل من الوجود الفرنسي، خاصة بعدما انتشرت أعمال العنف، التي قام بها خير الدين آغا الذي كان نائبا لباي تونس، وقد تضررت القبائل خاصة في منطقة مستغانم من تلك الأعمال، وأدت إلى نقيمتها على فرنسا وتونس، وقد ازداد التدمير خاصة عندما قتل علي بن مصطفى بن إسماعيل على يد الحامية الفرنسية بأحد الحصون القريبة من وهران³⁶، وكانت ردة فعل القبائل قوية، حيث قام الدواير والغراية وعلى رأسهم الحبيب بن عالم بضرب حصار مشدد على وهران³⁷.

أما بالنسبة للوضع بتلمسان، قد ذكر أكور أن الأوضاع بها تدهورت، حيث حدث الاصطدام بين الحضر والأتراك عقب انسحاب القوات المغربية، وكان ذلك عندما قام الحضر بمحاصرة الأتراك في المشور، ومنع دخول المؤن إليهم، وكان رد فعل الأتراك هو قطع الماء عن مدينة تلمسان³⁸، وفي رسالة وجهها القائد العام الفرنسي بيرتزين إلى وزير الحرب، ذكر فيها بأن الأتراك كانوا محاصرين في مشورهم، وأن حالتهم كانت سيئة للغاية، وأن قائدهم مصطفى بن الباي عثمان الذي جاء بعد بورسالي، قد استنجد بباي تونس، الذي كان في وهران قبل أن يضطر إلى الخضوع³⁹، بيد أن بايات تونس لم تكن تسمح له الظروف بمساعدة الأتراك الذين استنجدوا به، وبالتالي فقد تمكنوا من حل النزاع مع الحضر بطريقة سلمية،

وقد أشار أكور بأن مقدم الطريقة القادرية بتلمسان، اقترح على الحضر والأتراك الاحتكام إلى محي الدين رئيس الطريقة القادرية بالجزائر، وبالفعل فقد لبى محي الدين الدعوة وحضر إلى تلمسان، واستطاع حل النزاع، حيث أضاف أكور أن محي الدين قد تمكن من إعادة الهدوء والطمأنينة إلى مدينة تلمسان، حيث عين محمد بن نونة قائدا للحضر، وبورسالي قائدا للأتراك، رغم أنه كان بفاس ولم يرجع منها إلا في أواخر عام 1831⁴⁰، القبائل في الإقليم الغربي، اتفقوا على منح لقب سلطان لمحي الدين، حيث أرسلوا الوفود إلى مركز سلطته بالقيطنة، بيد أنه

رفض ذلك وأشار إليهم بإعادة المحاولة لدى سلطان المغرب⁴¹، وفي طرس الأخبار يؤكد العربي المشرفي أن محي الدين كان من بين الذين فرحوا بانسحاب السلطة المغربية من تلمسان، وذكر بأنه كان يقول علانية: "أحب المجوس يتحكمون في وطننا، ولا أحب المغاربة أن يتحكموا فيه"⁴² وقد ذكر بأنه سمع هذا منه بنفسه، ولكن العربي المشرفي في مخطوطه كان قد حرص على التحامل وبشدة على محي الدين، وعلى ابنه عبدالقادر والصاق كل العيوب والتهم بهما، ذلك بأن محي الدين لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتفوه بمثل هذه الأقوال.

وأمام هذا الاختلاف في الروايتين، يمكن القول بأن محي الدين قد رفض عرض تولي منصب السلطان، ولكن قبل أن يقوم بمهمة الحكم بين المتنازعين بمدينة تلمسان، وبالتالي فالأوضاع بإقليم وهران في الفترة التي أعقبت انسحاب المغاربة، لم تكن مساعدة للقوات الفرنسية وحلفائها، وهذا ما أتاح للسلطة المغربية فرصة معاودة تجربة جديدة في الأرض الجزائرية، وقد وصلت إلى دي لا بورط أخبار عزم السلطان المغربي تهيين حملة عسكرية جديدة على تلمسان، حيث بعث برسالة يحذر فيها وزير الخارجية الفرنسي، وقد ذكر في مضمون الرسالة حتى أسماء من سيكلفهم بقيادة هذه الحملة، حيث أشار إلى أخ السلطان المولى المأمون بن هشام⁴³، ثم ذكر ابن أخيه المولى الحسين⁴⁴، وجاء اسم محمد بن العامري كذلك ضمن القادة الذينكلفهم المولى عبدالرحمان بغزو تلمسان⁴⁵، ولقد أدرك وزير الحرب الفرنسي التناقض الموجود في الرسائل التي بعث بها دي لا بورط خاصة مع التزام انسحاب السلطة المغربية من تلمسان وتمرد جيش الودايا بمدينة فاس، ذلك أن الظروف لم تسمح للمغاربة بالتفكير في حملة ثانية⁴⁶. ذلك أن هذا التمرد العسكري لم يسمح بتحقيق فكرة الحملة على تلمسان⁴⁷، خاصة وأن الأوضاع بالمغرب قد اضطرت، واستمر هذا الوضع طيلة شهري أفريل وماي وبداية جوان⁴⁸، وبعدها هدأت الأوضاع بمدينة فاس، عاد السلطان للتفكير في بعث حملة جديدة على غرب الجزائر، ابتداء من شهر جويلية عام 1831، ولقد أشار هـ شورشيل بأن رغبة المولى عبدالرحمن في توجيه حملة على الإقليم الغربي لم تكن إلا بعد إلحاح وفد من الجزائريين بعث بهم محي الدين⁴⁹، بيد أن الكتابات الفرنسية قد ذكرت

بأن المجهودات التي قام بها مصطفى بن إسماعيل والمرسلي بفاس هي التي أدت إلى إقناع المولى عبدالرحمن بفكرة بعث عامله إلى تلمسان.

ولقد ذكر شارل أندري جوليان بأن الأمر الذي حفز السلطان على العودة إلى غزو الإقليم الغربي من الجزائر، هو الضمانات التي قدمها له زعماء الدواير والزمالة، بالإضافة إلى ترديات غزو الفرنسيين لمدينة المديّة التي عزم سكانها على مقاومتهم، وقد فشلت حملة بيرتزين على هذه المدينة في 29 جويلية⁵⁰ 1831، وفي الرسالة التي بعث بها دي لابورط يذكر فيها بأن مصطفى بن إسماعيل قد طلب من السلطان أن يبعث معه قوات مغربية إلى الجزائر لحفظ الأمن، وتحقيق الاستقرار، وتكريس نفوذ السلطة المغربية بالجزائر⁵¹، وفي تقرير آخر بعث به في 30 ماي ذكر أن زعيبي الدواوير والزمالة اقترحا على السلطان التدخل في تلمسان واستعدادهما لم يد العون، وجعل الإقليم الغربي من الجزائر تحت سلطته⁵²، ولقد أشار الجنرال بواي، الذي كان متواجدا بوهراّن في سبتمبر 1831 أن مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، ومعهم أحد أغنياء تلمسان ويسمى بومدين أخ بن نونة، سعوا إلى إقناع المولى عبد الرحمن بإرسال خليفته إلى إقليم وهران، وتأكيدهم بمساعدته لاختضاع المنطقة لسلطته⁵³، ولقد أكد السلطان لمحمد بن العامري بأن لا يبقى بالإقليم طويلا، إلا إذا تأكد من اعتراف السكان بسلطته، وهذا الطرح لا يتعارض مع ما ذكره الجنرال بواي، عندما قال بأن مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، التزما بدعم السلطة المغربية بالإقليم خوفا على حياتهم⁵⁴.

لقد عين محمد بن العامري الذي كان دي لابورط يتتبع كل تحركاته⁵⁵ وبخاصة عندما استطاع أن يضع نهاية لتمرد جيش الودايا⁵⁶، وكان خروج هذا العامل من مدينة فاس في بداية شهر أوت، ومعهم مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، وكان برفقة قوة عسكرية مكونة من ثلاثمائة فارس⁵⁷، ولقد ذكر دي كوسي بريساك وشارل أندري جوليان بأن هذه القوة وصلت إلى مدينة تلمسان يوم 16 أوت 1831⁵⁸، بيد أنه في الرسالة التي بعث بها محمد بن العامري إلى سكان مستغانم، أشار فيها بأنه دخل إلى تلمسان يوم الخميس 25 أوت 1831⁵⁹.

إن ما نلاحظه عن فترة وجود بن العامري بتلمسان هو نقص المصادر التي كتبت حول هذه الفترة خاصة المغربية، باستثناء الفرنسية والجزائرية، ولكنها تبقى ناقصة وغير موثوقة، حيث كتب عن هذه الفترة أ.كور ودي كوسي بريسك بالإضافة إلى شارل أندري جولييان بيد أن هذه الكتابات جاءت جد مختصرة، أشارت عن موقف الأتراك منه، ودعم زعماء الدواير والزماله له، وعن فشله في إخضاع وهران ومستغانم، وتحويله لمعسكر مركزا لسلطته⁶⁰.

وهناك فقرات له شورشيل تحدث فيها عن وجود ابن العامري في تلمسان، عندما قال بأن المولى عبدالرحمان، قد ردّ على طلب محي الدين بإرسال هذا الوكيل السري إلى معسكر⁶¹.

إن وثائق الأرشيف المغربي تمدنا بحقائق تاريخية هامة، وهذا ما نجده في رسالة محمد بن العامري التي بعث بها إلى سكان مستغانم، أشار فيها عن حفاوة الاستقبال الذي لقيه من سكان تلمسان، وزيارته لضريح الولي أبي مدين الغوثي، ولقائه بأتراك المشور، وفي تحليله لهذا الدخول قال: "فلقونا في الطريق وفرحوا بنا غاية ونهاية، وأطلقوا المدافع (كذا) كم مرة، وأخرجوا (كذا) البارود مرارا، وحاصله بما فعلوه (كذا) أخوالهم الحضر، فعلوه الكرغلية في الطاعة وزيادة، وقد حضروا معنا أعيان الحضر في المشور، وأكلوا وشربوا وتسامحوا".

"وفي اليوم الرابع أعد الحضر بدورهم مأدبة، ودعوا إليها الأتراك، ويوم الأحد عملوا (كذا) الحضر الطعام، وقدموا جميع الأعيان كراغلة وأتراك وأكلوا وشربوا، وعقدنا بينهما صلحا تاما قاطعا للنزاع والخصام، ولم يبق بينهما سوى الخير والإحسان"⁶².

إن هذه الرسالة التي بعث بها محمد بن العامري تعتبر محاولة جادة منه لإقناع أهل مستغانم بالخضوع لسلطته، كما فعل التلمسانيون، وهي تبين مدى نجاحه منذ البداية في إخضاع المدينة الأمر الذي لم يستطع تحقيقه من سبقه من الممثلين، الذين بعث بهم السلطان، وبخاصة مصالحته لأتراك المشور والحضر، وقد أشار الجنرال بواي في رسالته إلى النص الذي قرأه ابن العامري على سكان تلمسان، فطلب منهم مساعدته وشد أزره، ومحالفته بغية القضاء على الاضطراب

والنزاعات، التي تسبب فيها الاحتلال الفرنسي للجزائر، ونهبه للعدو المشترك حيث أشاد ببطولات الجزائريين لطرد الإسبان، وفي الخطاب الذي ألقاه ابن العامري أكد انتماء السلطان إلى الشجرة النبوية الزكية، وذلك أنه أعطى لهذا النص الصفة الدينية، وأن هدفه هو الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وطرد الكفار⁶³.

لقد بينت الرسالة التي بعث بها السلطان المغربي المولى عبدالرحمن بواسطة ابن العامري، الذي قرأها على سكان تلمسان، أن السلطة المغربية ظلت أهدافها في الإقليم الغربي هي نفسها، أي إرساله للممثلين، وإقناع السكان بالخضوع لسلطتهم، وتحذيرهم من العدو المشترك، ومخاطر بقاءه على الأرض الجزائرية، ولكن تجربة ابن العامري هذه المرة جاءت مختلفة عن التجارب التي قام بها من سبقه من الممثلين، مثل المولى علي، ذلك أنه اعتمد على القوة المحلية الجزائرية، حيث شكلها من الدواير والزماله وبعض المتطوعة، وهذا ما يؤكد بأن السلطان كان يهدف إلى تكوين قوة عسكرية جزائرية محلية نواتها مغربية، بيد أن الجنرال بواي قد أكد في التقارير التي كان يبعث بها، أن حضر تلمسان لم يخضعوا لابن العامري، ولم يسلموه المدينة، ذلك أنه لم تكن له نية البقاء بها وأكد كذلك بواي أن أتراك المشور اعترفوا بسلطة هذا الممثل من أجل تحقيق السلم والأمن في المدينة⁶⁴.

كما أكد بأن الحصار الذي ضرب على الأتراك، والذي استمر طيلة أربعة أشهر هو الذي اضطرهم إلى الاعتراف بالسلطة المغربية⁶⁵، كما أشار بأن الأتراك طلبوا من بن العامري أن يضمن لهم تموين مشورهم، والتزام السكان بدفع رواتبهم، وعدم تدخل الجند المغاربة في شؤونهم، وعندما وعدهم بتحقيق أهدافهم سمحوا لهم بالدخول إلى مشورهم والصلاة بمسجدهم⁶⁶، وعليه يمكن أن نحلل هذا الموقف الذي أبداه الأتراك من ابن العامري أنهم كانوا يهدفون إلى الإبقاء على الحامية التركية العسكرية بمدينة تلمسان، وترقب القوات الفرنسية التي كانت قد احتلت وهران، وبالتالي لا نفسر مهاندنتم للسلطة المغربية خضوعا، واستمرار السلم مع الحضر غير أن المغاربة قد أبقوا على المورسلي بن عودة قائد أتراك تلمسان، وبقي بمدينة فاس، حتى ضمن التزام الأتراك بطاعتهم، وخضوعهم لابن العامري.

لقد حرص ممثل السلطان محمد بن العامري أثناء تواجده بتلمسان، على حشد القبائل في الإقليم الغربي، وبخاصة المحيطة بوهران، بغية التصدي للقوات الفرنسية، وكان يضمن بأن أترك مستغانم سيسلكون نفس السلوك، الذي سلكه أترك تلمسان، حيث بعث إليهم رسالة في 30 أوت 1831 أخبرهم فيها بأن سلطان المغرب المولى عبدالرحمن قد عينه لتمثيله في الإقليم الغربي من الجزائر، كما طلب منهم ببعث ممثلهم للانضمام إلى صفه، حيث قال: "وأنتم يأمركم بمجرد وصول كتابنا هذا إليكم، عينوا لكل جهة قائدا، وقدموا إلينا بمسيرتكم، وتحضرون لقراءة كتابكم الموجه إليكم من حضرة سيدنا، وتحملونه إلى بلدكم مع قائدكم من وطنكم وبلدكم، أم من عندنا، وما ترون منا بحول الله وقوته، إلا ما يسركم ويرضيكم"⁶⁷.

وفي 11 سبتمبر 1831 عاد ابن العامري لكتابة رسالة أخرى لسكان مستغانم، بعدما لم يتلق أي رد منهم على رسالته الأولى، وقد أكد فيها على ضرورة نبذ الخلاف بين الأتراك والعرب، كما طالبهم بالتحالف معه ومع أترك تلمسان بيد أن أهل مستغانم لم يهتموا برسالته، ونظرا لكون أهل مزگران كانت علاقتهم بهم عدائية، فقد قبلوا باقتراحات ابن العامري من خلال تبادل الرسائل بينه وبين أعيان هذه المدينة الصغيرة، وقد تضمنت هذه الرسائل دعوة ابن العامري إلى نبذ الخلاف والتصالح بين أهل مستغانم ومزگران، واستعداده لبعث ممثليه من أجل عقد الصلح بينهم⁶⁸، وقد أشار الأرشيف الفرنسي بوزارة الحربية بفانسين إلى هذه الرسالة وهي مترجمة ومؤرخة بـ 11 سبتمبر 1830.

وبالفعل فقد اجتمع أعيان المدينة لعقد الصلح مع أهل مزگران، حيث كتب قاضيها محمد بن يدر إلى أهل مستغانم، وإلى قائدها التركي إبراهيم بن عثمان ليعلمهم بأنه اجتمع بمحمد بن العامري الذي عين الحاج قدور بن إدريس قائدا عليهم، وأبقى على قاضي مزگران في منصبه، كما قام محمد بن العامري بتعيين ممثلين عنه، وبعث بهم إلى مزگران، للإشراف على عقد الصلح بينها وبين مستغانم، كما طلب منهم تكوين قوة تشارك فيها كل القبائل المجاورة، والاستعداد لمواجهة القوات الفرنسية⁶⁹، كما أشار في رسالته إلى ضرورة قبول الاقتراحات المغربية وعدم

رفضها، حيث قال: "وإن لم ترضو بالصلح نبعث (كذا) له مع أصحابه (أي أصحاب ابن العامري) وحاصله نحن ناصحون لكم، فلا تغتروا بالفرنسيين الذين يكذبون عليكم كما كذبوا على أهل الجزائر"⁷⁰.

وهكذا تمكن محمد بن العامري من إقناع عدة قبائل في الإقليم الغربي بضرورة الوقوف في وجه القوات الفرنسية المسيطرة على مدينة وهران، وكانت حاميتها تتكون من 1200 جندي⁷¹، بيد أن هذه الحامية قد تميزت بقوة تحصين قلاعها، وتوفرها على أعداد هائلة من المدافع، والاستعداد الجيد بالإضافة إلى التسليح والتنظيم، وانتشار الأسطول البحري على السواحل المحيطة بالمدينة، أما بالنسبة لقوة ابن العامري فكان عدد فرسانها لا يتعدى 150 فارساً مغربياً⁷²، بالإضافة إلى قوات شكلتها قبائل الدواير والزماله ومتطوعة من قبيلة الحشم⁷³، بيد أن هذه القوات كانت تفتقر للتنظيم والتسليح، وبخاصة سلاح المدفعية، ورغم ذلك فقد قام محمد بن العامري بضرب حصار على مدينة وهران، وقطع الطرق الرئيسية التي كانت تأتي منها الإمدادات لتغطية حاجيات الفرنسيين الغذائية، كالحبوب، أو الأعلاف، والأخشاب، وقد بادرت القبائل المجاورة بفرض الحصار، لإضعاف القوة العسكرية الفرنسية، إبتداء من منتصف شهر سبتمبر 1831. وفي هذه الأثناء كان محمد بن العامري معسكراً قرب وادي سيق، ينتظر دعم قوات أهل مستغانم، مزغران، أرزيو، ومعسكر، حتى يقوم بهجوم كبير ومباغت على الفرنسيين بمدينة وهران، ولتحقيق ذلك بعث برسالة إلى القبائل المجاورة، وخاصة في معسكر، وغريس يحرضهم على الجهاد، وفي نفس الوقت قام المولى عبد الرحمن ببعث رسالة وجهها إلى مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، دعا فيها إلى حشد القوى والقبائل لطرد الكفار وقد جاء في مضمون هذه الرسالة التي ترجمت عن الفرنسية: "لتنهض القبائل كرجل واحد ولتسير كلها إلى قتال العدو الكافر ويجب أن يضيقوا عليه ويهاجموه بدون كلل يشمروا على ساعد القوة، والجد لتحقيق النصر".

الهوامش:

- (1) دي لابورط إلى الجنرال كلوزيل 13 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6
- (2) الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، القسم الثالث الجزء التاسع (9) تحقيق و تعليق جعفر محمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء للمملكة المغربية 1956 ص 30-31
- (3) I.HAMET : Histoire du Maroc ,Paris 1923. opcit. p74
- (4) محمد بن إدريس إلى محمد أعشاش 17 رمضان 1246 هـ الموافق لـ 24 فبراير 1831م، الخزينة الحسنية، م. 9، مج 1.
- (5) الناصري، المصدر السابق ص 32.
- (6) DELORT, sur l'ouvrage du G. ol. Berthézine, dix, huit mais à Alger, Paris, 1834, p 61.
- *- خير الدين آغا، هو الذي أوفده باي تونس مع 250 جندي إلى وهران للتمهيد للتمهيد لتنصيب أحمد بن أخ الباي على القطاع الوهراني، تبعا لاتفاقية بين كلوزيل وباي تونس في 06 فبراير 1831 مقابل ضريبة سنوية. الرجوع إلى تشرشيل، حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 137.
- (7) ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، بجمال حضارة أليزياني مكناس الجزء الخامس ك'1135؛الباصا 1937 ص 176. CH. A. Julien. Opcit. p69.
- (8) ملخص الاتفاق بين الجنرال كلوزيل وباي تونس 6 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6
- (9) حاكم وهران إلى دي لابورط 11 أيلول 1831 S.H.A.T.1H7
- (10) G.E squer. Histoire de l'Algérie après 1830, 1^{ère} série, Paris, 1924, p 11
- (11) دوليسبس إلى وزير الخارجية 21 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6
- (12) الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6
- (13) DELORT :Note sur l'ouvrage du GL .BERTHÉZENE Paris 1834. Opcit. p11 et CH. A. Julien : Histoire d'Algerie contemporaine ; la conquête et les études de la colonisation (1827_1871)paris 1964. Opcit. p70
- (14) I.HAMET. opcit. p74
- (15) الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 08 مارس 1831 S.H.A.T.1H7
- (16) CH. A. Julien. Opcit. p70
- (17) الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6
- (18) CH. A. Julien. Opcit.: pp 81-82.
- (19) فودوار نائب حاكم وهران إلى وزير الحرب 21 أوت 1831 S.H.A.T.1H8
- (20) ابن أبي الضياف إتحاف أهل الزمان. م.م. ص 178.
- (21) الجنرال بوابيلي وزير الحرب 1 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9
- (22) ابن أبي الضياف المصدر السابق ص 178

- (23) I.HAMET. opcit. p76
- (24) دي لابورط إلى وزير الخارجية 3 أفريل 1831 S.H.A.T.1H7
- (25) تشرشل هنري، المرجع السابق، ص 62.
- (26) محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر_دار اليقظة الجزائر 1964 الطبعة الثانية د.م.م ص 146-147
- (27) محمد المشرفي بن المصطفى الحال الهية في ذكر الدولة العلوية مخطوط الخزنة الحسنية الدار البيضاء المملكة المغربية خ ع رد 1463، المصدر السابق. ص 206.
- (28) DECOSSE. BRISSAC :les Rapports de la France et du Maroc Pendant la conquête d'Algérie (1830_1947) Paris 1931 Opcit ; pp 12-13.
- (29) CH. A. Julien. Opcit. P82.
- (30) الناصري، المصدر السابق. ص 32.
- (31) أبو العلاء إدريس. الابتسامة عن مولانا عبد الرحمان بن هاشم مخطوط رقم 114 الخزنة الحسنة الرباط المغرب المصدر السابق. ص 384.
- (32) محمد المشرفي، المصدر السابق. ص 206.
- (33) أبو العلاء إدريس، المصدر السابق.. ص 384
- (34) المصدر نفسه. ص 32
- (35) نفسه. ص 32
- (36) نفسه. ص 33.
- (37) الناصري المصدر، ص 32.
- (38) نفسه، ص 35-36. أكنسوس، الجيش العموم المخطوط رقم 965 الحسنية الرباط المغرب المصدر السابق، ص 17.
- (39) الناصري، المصدر السابق. ص 33.
- (40) دي لابورط إلى وزير الخارجية 9 ماي 1831 S.H.A.T.1H7
- (41) I.HAMET. opcit; p 60
- (42) Ibid. p76
- (43) أبو العلاء إدريس. المصدر السابق. ص 38
- (44) I.HAMET. opcit. P70
- (45) H. TERRASSE. Histoire du Maroc. P 320.
- (46) S.H.A.T.1H7 TERRASSE. حاكم وهران إلى دي لابورط 11 أبريل 1831
- HISTOIRE DU Maroc des origines à L'étalolissement de protectorat français Casablanca 1908 p 320
- (47) دي لابورط إلى وزير الخارجية سيباستياني 25 ماي 1831 S.H.A.T.1H7
- (48) الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 18 أبريل 1831 S.H.A.T.1H8
- (49) وزير الحرب إلى بيرتزين 9 جويلية 1831 S.H.A.T.1H

- Cour. L'occupation. Pp 40-41.
- (50) الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 28 أبريل 1831
- S.H.A.T.1H Occupation Marcaine de Tlemcen Paris 1908 P(40-41) la vie d'Abdelkader ; Productions Michel Habert nParis 1908 P40-41
- (51) CF. H. CHERCHILL, 2eme édition Alger 1974. P 62.
- (52) العربي المشرف فيملوك الدولة العلوية الحلل الهيئة في التاريخ 1463، المصدر السابق، ص 75.
- 2eme édition alger 1974
- (53) S.H.A.T.1H7 دي لابورط إلى وزير الخارجية 9 ماي 1831
- (54) S.H.A.T.1H8 دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جوان 1831
- (55) دي البورصا إلى الحاج وهران المصدر السابق
- (56) S.H.A.T.1H7 وزير الحرب إلى الجنرال بيرتزين 30 أبريل 1831
- (57) S.H.A.T.1H8 دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جوان 1831
- (58) أكنسوس، المصدر السابق، ص 17-18
- (59) الناصري، المصدر السابق، ص 24-25
- (60) أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 385-387.
- (61) CH. H. CHURCHILL. op.cit. P62
- (62) BERTHEZENE. GIPapiers du Gal Bèthezène relatifs à la colonisation de l'Algérie paris 1917 Op.cit. P 95.
- (63) S.H.A.T.1H7 دي لابورط إلى وزير الخارجية 25 ماي 1831
- (64) BERIHEZENE. Op.cit. P91.
- (65) S.H.A.T.1H9 الجنرال بوابي إلى وزير الحرب. 21 سبتمبر 1831
- (66) S.H.A.T.1H8 دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جويلية 1831.
- (67) S.H.A.T.1H8 دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جويلية 1831.
- (68) S.H.A.T.1H10 الجنرال بوابي إلى الجنرال بوابي 1831
- (69) S.H.A.T.1H9 الجنرال بوابي إلى الجنرال بيرتزين 31 أكتوبر 1831
- (70) DECOSSE BRISSAC. op.cit. P17. CHA. Julien. op.cit. P82.
- (71) S.H.A.T.1H9 أ حاكم وهران إلى وزير الحرب 16 سبتمبر 1831
- 72) 2DECOSSE BRISSAC. Op.cit. P17
- 73) 3P.H. D'ESTAILLEUR. CHANTRAINE. L'emir magnanime. Abdelkader le croyant, Paris, 1959, p75.